الإعلام العربي: من إيديولوجية الخطاب الديني إلى فرض منطق التعايش
صديقي عبد النور/ بن لعوج لطفي، المجلد العاشر ، العدد 2 ،
جوان 2019 ، ص ص 436- 447
E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الإعـــلام العربي: من إيديولوجية الخطاب الديني إلى فرض منطق التعايش

Arab media: From the ideology of religious discourse to the imposition of the logic of coexistence

د. عبد النور صديقي (*)

جامعة سيدي بلعباس، الجزائر

seddikinour@yahoo.fr

د. لطفي بن لعوج

جامعة مستغانم، الجزائر

benlaouedjlotfivigo@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/02/17 تاريخ القبول: 2019/06/22

الملخص:

تعتبر عملية إعادة البناء روابط العلاقات الإنسانية في الحقل الإعلامي الديني أحد مهام رجل الإعلام العربي، بل هو إضافة المعنى للمنتوج المعرفي في إطاره التاريخي، إن هذا السياق قد يمنحنا وضوحا لفهمه الخاص، فالمهمة جد معقدة لأن هناك أطر معرفية غربية يغلب عليها الهدم وشكلية معايير الخاصة بسياق الخطاب الديني أو طبيعة تموضع الفاعلين الاجتماعيين وتقبلهم للرسالة الدينية سواء كان ذلك عبر شبكة التواصل الاجتماعي أو القنوات التلفزيونية، ففي ظل الاحتكار الإعلامي الغربي والمنطق اللامتوازن التي تفرضه علينا العولمة يبقي شعار السلام رهينا لإيديولوجيات الدمار.

الكلمات الدالة:

خطاب المعرفة، بنية هندسية، الثنائية الفضفاضة، المورفولوجيا الدينية، الوسيلة الإعلامية.

Abstract:

The process of rebuilding ties of human relations in the field of religious media is one of the tasks of the man of the Arab media, but is to add meaning to the cognitive product in its historical context, this context may give us a clearer understanding of his own, the task is very complicated because there are Western knowledge frameworks are predominantly demolition and form of special standards In the context of the religious discourse or the nature of the social actors and their acceptance of the religious message, whether through the social network or television channels, under the Western media monopoly and the logic of balance

(*) **المؤلف المرسل :** عبد النور صديقي : seddikinour@yahoo.fr

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

imposed by us globalization keeps the slogan of peace a hostage to the ideologies of the destruction.

Key Words:
Speech of knowledge, geometric structure, loose binary, religious morphology, .media

يواجه الإعلام الديني العربي تحديات كبيرة في زمن الحرب على الاتجاهات الدينية المتطرفة والأحادية القطبية والصراع على الرأي العام والدبلوماسية العامة وحرب الدعاية والتلاعب بالعقول، فقد يمثل هذا الأخير أحد الأقطاب التواصلية الكبرى الغائبة على الصعيد المحلى والدولي، كما يحاول تضييق الفجوة بينه وبين الشارع العربي وتسويق الصورة الحقيقية لأمته وشعبه وحضارته ودينه للآخر لكن التناقض الجسيم بين إرادة السلطة من جهة ومتطلبات المهنة من جهة أخرى تركته سجين طموحاته[1]وأهم تلك الطموحات تفكيك لغز التبعية والتحرر من الآخر على المستوى الأيديولوجي والثقافي والديني،لكن كيف استلهم المفكر الاستعلامي الاستعراضي العربي مكانة السلطة اللاهوتية والخطاب الأيديولوجي وما مدى قدرتها على بعث أواصر التسامح والسلام بين أطراف المجتمع العربي، فعلى هذا الأساس فقد أصبح التسامح بحاجة ماسة للأفراد والشعوب ومن تم لم يعد ترفا فكريا، فنقيضه هو اللا تسامح والتعصب والعنف والاستئثار ورفض الآخر، فهو يعني اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخر في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، فهو إقرار يكرس لاختلاف البشر في طباعهم ومظاهرهم وأوضاعهم وسلوكاتهم وقيمهم وقومياتهم ودياناتهم، كما يرتكز مبدأ التسامح حسب إعلان اليونسكو على تعليم الناس الحقوق والحريات التي يشاركون فيها.[2]

إلا أنه وفي ظل التحولات الاجتماعية والثقافية القائمة اليوم في عالمنا العربي وأوهام الثورات التي أنتجها هو بخطابه الإعلامي الديني المصطنع والزائف والذي يدعو إلى التفرقة والتجزئة بين الأديان السماوية والمذاهب الفكرية وأخيرا ولكي نفصل في هذا الرهان الابستـملوجي بشقيه الحداثي والتقليدي وما يترتب عن هذه الدراسات من مشروعية الشك والتشكيك في نتائجها حيث ظلت تمثل حقول التجارب المفضلة لدى العديد من الباحثين الأجانب لأسباب عديدة دون أن يمتلكوا وسائل الاستخدام الفعالة لتمرير رسالة السلام والتعايش وتقبل الآخر، فضلا عن انعدام الموضوعية والتجريد لـدى

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الغالبية من هؤلاء الباحثين الذين يستهدفون دراسة الشخصية العربية بقصد إثبات أو نفي سمات معينة تمنح الأولوية للجانب الاقتصادي على الجانب الروحي تحت غطاء الحداثة والنزعة التقدمية وإذا كان هؤلاء المختصون لا يرضون بهذه الرؤية الضيقة في تناولهم هذه المواضيع واستيعابهم للحقيقة الإنسانية ويصرون على استبدالها بنظرة متفتحة متعددة الجوانب " فلأنّهم وبكل بساطة يعتبـرونها نظرة مغلقة وجزئية ومختزلة للإنسان ولعل أول قصور يخيـم على هذا الاختزال ذلك الذي يتمثل في الاعتماد على خرائط معرفية/إدراكية وأنتليجنـسيا مغايرة لا تعكس هويتنا ولا منظومتنا القيـمية، فحولت الإنسان إلى أجزاء متناثرة بعدما حاولت أن تجعل من تفسير السلوك تفسيرا ميكانيكا يخضع لعلية أحادية وهذا ما سيجعلنا نعيد التفكير في جملة من الرهانات والمفارقات فهل الخطاب الديني في العالم العربي يعكس الرهانات والتحولات الاجتماعية والثقافية ؟ما هي الشروط التي يمكننا تأسيسها وتوحيدها من خلال جدلية الأنا والآخر وما مكانة مشروع السلام أو ما يسميه بعض الموهومون بصفقة القرن من خلال الخطاب الإعلامي لهذا الباحث الاستعلامي الاستعراضي[3]، الـذي يخدم أجندات الآخر على حسان النحن؟ فهل التعددية والاختلاف ترسم لنا ملامح التسامح وأمان الأمم أم ستكون أحد الأقطاب المساهمة في عملية الهدم؟

❖ النموذج الإسلامي للاتصال:

يعرف الإعلام الإسلامي بأنه تلك الوضعية الخاصة بتزويد الجماهيـر بصفة عامة للحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله بصفة مباشرة أو غيـر مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسـطة قائم بالاتصال بحيث يكون لديه خلفية واسعة ومتبعة في موضوع الرسالة التي يتناولها وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يدرك الحقائق الدينية ويسـتوعبها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته، كما يمكن تعريفه أيضا بأنه بيان الحق وتزيينه للناس بكل الطرق والأساليب والرسائل العلمية المشروعة مع كشف وجوه الباطل وتقبيحهم بالطرق المشروعة بقصد جلب العقول إلى الحق واستدراك الناس في نوال خير الإسلام وهديه وإبعادهم عن الباطل أو إقامة الحجة عليهم[4]، كما يشمل النموذج الإسلامي للاتصال تحليل عملية الدعوة من حيث كل جوانب الحياة النفسية والفنية والاجتماعية وذلك على ما

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

اشتملت عليه السنة النبوية وما قدمه القرآن الكريم وهو يستعرض أخبار الأنبياء والمرسلين ومواقفهم وطرق إقناعهم، كما يمكن تحديد عناصر عملية الاتصال ذات الوظيفة التبليغية كما يلي[5]:

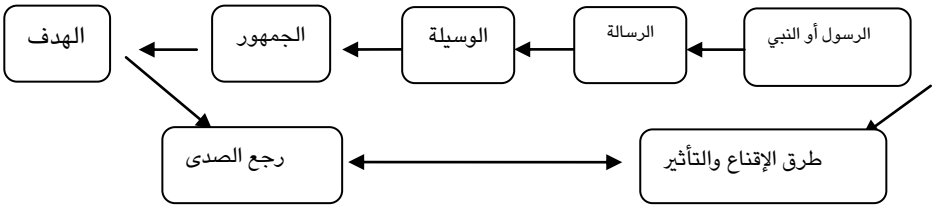

❖ **مورفولوجية القنوات الدينية: هل من هندسة معرفية لتعايش الأديان؟**

تشكلت مقولات جوهرا نية اعتقد الناس زمنا طويلا أنها تمثل إنجازات نهائية للعقلانية في حين هي مرتبطة بالخيال وبشدة، فمن أهم الوسائل والأدوات المكرسة لهذه الإنجازات نجد ذلك الإعلام المرئي في ثوبه الخاص بالقنوات الفضائية المحلية والأجنبية، بطبيعة الحال هي الأخرى لها كلمتها ووزنــها في قلب ميزان تلك المعادلة القائمة على ثنائية المقدس/ المدنس، فكيف يمكن تمرير الصورة والخطاب الديني وبالخصوص ذات التوجه الإسلامي من المشهد الأصلي إلى الصورة والخطاب المتوافق مع أصول القيم والتعايش بين الأديان السماوية؟ وهل تركيبة هذا المشهد تعكس فعلا تركيبة اجتماعية وبنية معرفية في مخيلة الفاعل المتلقي للرسالة الإعلامية اللاهوتية وبالخصوص في المجتمع العربي؟ بعبارة أخري هل بنــية ***الخطاب المابعد حداثي*** الذي يفرزه الآخر يؤثر على تصورات الشخصية العربية المسلمة؟

يجد المؤمن اليوم نفسه أمام تحديات أساسية مدعوا من خلالها إلى الإجابة على أسئلة صعبة تتعلق بالفوارق الجوهرية التــي تتخطي حدود كل توصيف إيجابي للأديان التوحيدية، كالتأكيد على أنها أديان سماوية أو إبراهيمية ومن تم عرض مفارقات إيمانية وتاريخية واختلافات عقائدية تقارب مواضيع مختلفة، فمنها كلمة الله، الكتب المقدسة، القانون، الشريعة، الواجب الديني والاجتماعي والحرية الفردية والانتماء الاجتماعي، من تــم عليه أن يتعايش هو الآخر مع شعوب أخري، تتشارك معه الأرض ومواردها الطبيعية ولها نظرتــها إلى المشاكل السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والايكولوجية، كما يسأل بعضهم كيف يمكن أن بتعاطي كل هؤلاء الناس وكل منهم على دين معين مع تلك المسائل؟ فهل من قاعدة مسلكية مشتركة بإمكانها أن تدير تنوعهم وتحفظ حقوقهم؟[6]

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

قلما نحتاج إلى نوع من المعرفة الدينية الذي يقدمها ***"خطاب المعرفة"*** في فضاء التواصل الاجتماعي *بقدر ما نحتاج تشخيص النظام الدلالي الرمزي للمجتمع ولا يكون ذلك إلا وفقا لتوجهين الأول يتعلق ببنية العقل العربي ومدى استيعابه لذلك التنافر المعرفي بينه وبين* موقع المتلقي للرسالة التبليغية أو التبشيرية، بعبارة أخرى هناك ***بنية هندسية*** تترتب فيها العناصر حسب منطق التمييز والخاصية، فكل عنصر يمتلك حيزا خاصا يتميز به عن غيره من العناصر ويتحدد بمسافة التي تفصله عن العناصر المجاورة، كما أن المعرفة اللاهوتية ترتكز على قواعد علم النفس البنائي ، فالتركيز كان من المفترض أن يكون في بناء الشخصية القادرة علي استيعاب هذا الخطاب في إطار تفاعلي تواصلي قوامه مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

❖ الظواهر الدينية على محك المغالطة الإعلامية / الرمز والواقع:

إن الخطاب الذي يفرزه رجل الإعلام العربي سواء كان أيديولوجيا متطرفا يخدم أجندات محددة أو معتدلا يجسد نموذجا متوافقا بين كل الأطراف الفاعلة في الحقل الديني العربي، فلكي ندرك هذا التوافق يجب وضع مقاربة تفاهمية لهذا الخطاب متجاوزين بذلك الطرح اللغوي البياني الضيق وهذا نضع أنفسنا أمام مفهوم أكثر ليونة من مفهوم العقيدة أو النظرية التي قد تؤدى إلى إنتاج قواعد صلاحية وتصديقات جامدة[7]، كما أن الظاهرة الدينية تخضع لحق الممارسة العلمية، فهي تحيل إلى إنتاج قواعد صلاحية وتصديق جامدة لتحيل إلى شئ بارز في الأفعال والممارسات والشعائر وفي التنظيم الاجتماعي والثقافي، فتتشكل منظومة تضفي عليها التأويلات العلمية المعقلنة والوجاهة الابستمولوجية: ***بوصفها عناصر خاصة تنخرط فيها الظواهر الدينية على شكل أنساق مدركة إذ يدرك التحليل الألسني أو الاجتماعي الظواهر الدينية بوصفها تنخرط في وحدة من السمات التي تعتبرها وجيهة، الأمر الذي يجعل هذه الظواهر معقولة وفقا للعلاقات التي تربطها فيما بينها، مثلا:الشكل الديني أو اللاهوتي الذي يحيل عبر تنظيمه الخاص من خلال طبيعته التراتبيه والمواضيع المذهبية...***[8]

ففي هذا السياق قد يحتفظ رجل الإعلام برأيه الشخصي فيتعامل مع المعتقدات كمعطي اجتماعي وفقا لمتطلبات الحياد القيمي والموضوعية العلمية، حيث نراه يفهم الاختزال المنهجي كإلحاد منهجي ويكون الدين في هذا السياق نظاما تصوريا رمزيا يبلوره الذهن للتكيف مع مجموعة من القيم المشتركة[9]والتي من خلالها يمكن وضع قاعدة وأساس قوي لفهم ماهية الروابط القائمة بين الأديان السامية، إلا أنه وبالرغم من تباعد

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الخطابات التي يفرزها الإعلامي الأيديولوجي يمكننا توحيد الدلالات والمعاني التي يفرزها الخطاب الديني والغرض من ذلك التقارب على المستوى البراجماتي للمرسل والمتلقي للرسالة اللاهوتية المشفرة، فبدلا من التركيز على أفعال الأقوال التي هي في أغلبها انفعالية/ تجيشية أكثر منها عقلانية، فالخلاف المذهبي القائم اليوم في العالم العربي يأخذ منعرجا مغايرا ففي ظل تلاشي النزعة الموسوعية ظهرت بوادر تيار جديد يعبر عليه عند جل المستشرقين بتيار ***ما بعد الأسلمة***، فهي تشكل خطاب لغوي رقمي من جهة ومصطنع بكيفية تناظرية ومشفرة من جهة أخرى لها موقع مهم في شبكة التواصل الاجتماعي، فهي تعبر عن مورفولوجية اجتماعية ودينية جد مركبة تقحم الخطاب العولماتي في معركة ودوامة المفاهيم فعلى سبيل المثال الحرب علي سوريا نجد الرسالة التلفزيونية لبعض القنوات الخليجية تمرر خطابا عقلانيا بعيدا عن كل نزعة دينية غنوصولوجية لكن من الداخل هناك مفاهيم ومصطلحات لا يمكن تطويقها لما الأمر يتعلق بتداول هذه المفاهيم على الساحة الجيو-إستراتيجية مثلا قول الصحفي:هناك حرب ضد الشعب السوري ويقحم كل الأطراف المساهمة في هذه الحرب دون التمييز العقائدي ولكنه من منظور آخر هناك الجيش السوري العربي الذي له الكلمة الأولى والفاصلة في بسط السيادة، فيحذف كلمة عربي من السياق ليتحول الخطاب وبطريقة غير واعية الجيش الديمقراطي العربي والذي يمثل خطاب طائفي يستهلكه المتلقي العربي بلاوعي وفي سياق آخر نجد أن هذه التركيبة الاجتماعية تقوم بفبركة الإنسان السوسيولوجي *homosociologicus* ذلك الذي يؤمن بالروابط الاجتماعية والتساند الوظيفي لتصنع منه ذلك الإنسان ثنائي البعد يخترق الفضاء الزمكاني ذلك الإنسان التناظري *homosymétrisable* ليعيش هذا الأخير في عالم افتراضي تهيمن عليه أجندات الدول المهيمنة والمتلاعبة باللغة الرمزية للسلام العالمي، حيث يتوسطهما راهن التمثلات الاجتماعية والبنية التأويلية للواقع ذلك الذي يقود السياقات اللغوية إلي مسار إيديولوجي بعيد كل البعد عن رهانات السلم والتسامح والوحدة العربية، فالواقع على حد تعبير ***ميشال دوسارتو*** أمر مفترض ومفقود يقوم الخطاب باقتناصه في رموز ولغات، فالمعتقدات غالبا ما تبدو للمراقب أقوالا عقلانية، أما الشعور اللاعقلاني فهو ناجم على حد تعبير ***جان بياجيه*** عن ***وهم المركزية الاجتماعية***[10]

لقد كانت الظواهر الدينية في الماضي علامات تحيل إلى حقيقة خفية وفي تحولاتها الاجتماعية أضحت عبارة عن أعراض تدل على أفعال وشعائر بمعزل مضامينها الرمزية

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

أو الأيديولوجية، فالعلامة الدينية تعبر عن حقيقة مفارقة يمنح فيها الخطاب علامات ودلالات تاريخية واجتماعية وليس دلالات ميتافيزيقية أو متعالية وهنا تتشكل الوجاهة الابستمولوجية للمسافة النقدية بين الخطاب العلمي والعلامات الدينية[11].

❖ إشكالية الممارسة وحرية المعتقد:

إن حق ممارسة الصحفي لعمله يندرج في جوهر مفهوم حق الاتصال الذي يعد من أبرز القضايا المحورية في عالم الاتصال تكفله دساتير الدول ذات النظم الديمقراطية ومن ذلك الدستور الجزائري الذي منح صلاحيات للمواطنين في مجال حرية التعبير، المادة *36*: لا مساسه بحرمة حرية المعتقد وحرمة حرية الرأي والمادة *38*:حرية الابتكار الفكري والفني والعلمي مضمون للمواطن، لا يجوز حجز أي مطبوع أو تسجيل أية وسيلة أخرى من وسائل التبليغ والإعلام إلا بمقتضى أمر قضائي والمادة *41*:حريات التعبير وإنشاء الجمعيات والاجتماعات مضمونة للمواطن[12]، لكن لا يمكن التسليم بهذا قطعا فعلى أرض الواقع هناك مفارقة من نوع آخر، فعندما تتداخل وتتعارض القوانين الفقهية المستمدة من الأدلة القطعية والظنية أو تلك المستمدة من السنة والوحي بالقوانين الوضعية لا يجد رجل الإعلام الديني أي سبيل للترجيح، لأن المسألة هي اجتهاد فقهي قانوني خاص بالشارع الحكيم، لكن وفي إطار حرية المعتقد الأمر يختلف، فقد يلجأ الإعلامي الخبير إلي طرح القضايا والرهانات بشكل توقيفي يراعي بذلك مبدأ حفظ الأمة والدين، لكن هذا صعب وخصوصا في دول عربية لا يفرق أرباب الحكم فيها بين التمايز الوظيفي والتمايز العضوي، لذلك نجد الإعلامي الاستعراضي العربي يمرر خطابا يعكس وجهة نظر الرأي العام ولا يخوض في الممارسات السياسية والدينية إلي وفق سياق منطق الإملاء، لكن وفي إطار المواطنة نجد استحضار ما يسمى الهوية الوطنية والغرض الأساسي هو تثبيت قيم العدالة الاجتماعية وحرية التعبير مع ترسيخ مبدأ أمان الأوطان، *إلا أن هذا يتطلب انتقالا من الحداثة إلى ما بعد الحداثة علي شكل ممارسة في قيمتها التداولية، فلم تتغير الممارسة في هذا الانتقال بقدر ما تغيرت رؤيتنا لهذه الممارسة من منظور الإدراك وأيضا السياقات المختلفة التي يتردد عليها مشهد الأداء حيث يمكن أن تتغير رؤيتنا بحكم أن الممارسة كان الغرض منها في الحداثة البحث عن معناها الأخلاقي وقيمتها النظرية والسياسية، أما في مرحلة ما بعد الحداثة فالمراد هو معرفة كيفية الاتصال بالممارسات والمتمفصلة بالخطابات والمرجعيات الواقعية أو الرمزية لذلك تغيرت الممارسة اليوم بحكم أنها مرتبطة بخطاب مؤسساتي يعكسها ويمثلها.*[13]

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

أما الآن فهي ترتبط بمرجعيات لامركزية ويعتبر الدكتور ***جمال العطيفي*** أن الاتفاقية الأوروبية للحفاظ على حقوق الإنسان وحريته الأساسية لعام *1950* أسبق الوثائق الدولية في تقرير حق الاتصال، بما في ذلك حرية اعتناق الآراء واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها بأي وسيلة كانت ودون أي تدخل من السلطات العامة وتقيد بالحدود الجغرافية.[14]

❖ إشكالية التنظيم المتعدد الأقطاب والأفقي للتنوع:

إن أي تقسيم يخص الخصوصية الثقافية للعملية التواصلية بين المرسل والمرسل إليه يشكل هاجس علي الأنثروبولوجي من الدرجة الأولى، ففي عالمنا العربي قد يكون هذا عائقا معرفيا يحجب عنا منطق الاتحاد الذي يكشفه هذا التصور، فيمكننا حينها أن نفكك بنيته ونعرف تهافته، كما يجرى العادة في تصنيف الاتجاهات النظرية أو السياسية أو الفصل بين السلطة والمعارضة وإن كان هذا التصنيف طبعا ضروري، فقد يصبح بحكم الاستعمال - أي ذكاء الاستعمال في تمرير الرسالة الإعلامية الروحية - كعائق منهجي ومعرفي/ ذهني يوهم المختلف أنه مختلف عن الآخر في حين أن كلامهما محكوم بالمنطق نفسه ويخضع للآليات نفسها[15]، منطق وحدة الشرائع وآليات تعدد الممارسات والطقوس في إطار هيكلة وسائل الاتصال وفق منظور عقلاني يتماشى مع آليات الاستهلاك اللغوي والروحي للخطاب الديني وفي هذا السياق نجد أن التنظيم المتعدد الأقطاب والأفقي للتنوع يتعارض مع رؤية تنائيه وتدرجية للاختلاف، حيث التمايز الثابت في الثقافات يفجر رؤية الثنائية: ***مجتمع مضيف/مجتمع أصلي، أكثرية/ أقلية، مسيطر/ خاضع*** لصالح منح الأولوية للعلاقات وبالتالي التغيرات بين المجموعات نفسها، فمنطق الاختلاف يعزل الكيانات في إطار علاقات عدم التساوي، بعبارة أخري إنه يقع على مستوى الرموز لا على مستوى الحقائق [16]، تلك التي من خلالها يدرك الفاعل الاجتماعي المتلقي للرسالة اللاهوتية وطبيعة الرسالة المرسلة في سياقها الواقعي إلا أن الإشكال المطروح في عالمنا العربي هو أننا لم نستوعب أن مشروع التسامح والتعايش بين الحضارات والطوائف الدينية ينطوي على قوة الاعتراف واختلاف تصوراتنا اتجاه المعتقدات من خلال هذا المنظور أي العقلاني، حيث نجد أن هذه التصورات ما هي إلى ذلك الإجماع المجتمعي الذي ينتجه الواقع في إطار متعدد الثقافات، فمن منظور المقاربة السوسيو تاريخية نجد أن هناك متغيرات أخرى تعزل الخطاب الإعلامي العربي كمتغير الطبقة الاجتماعية، فاليوم نجد مجتمعات منغلقة بمعني مجتمع منغلق *société bloqué*

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

يفرز خطاب إيديولوجي أحادي وان كان التعدد حاضرا لا يكون حاضرا إلي في سياقه الدوغمائي لا الاجتماعي أو الثقافي وهذا كان له انعكاس كبير علي السلم الاجتماعي وخير مثال على ذلك ما حدث في مصر في أواخر القرن الماضي حيث بدأت تظهر بوادر التيار الإخوانى الذي كان بحاجة إلي تمرير خطاب ديني تبليغي يتماشى مع متطلبات الطبقة الاجتماعية المكرسة لأيديولوجيته أي الطبقة الفقيرة أو المتوسطة التي كانت حاضرة بقوة في مصر، لكن لإحداث التوازن وبحكم وجود طبقة أخرى مغايرة والتي تملك ثقافة مغايرة ونعني بها الارستقراطية المالكة لرأس المال المادي تلك التي كانت تبحث عن خطاب روحي يمنحها بعدا روحيا وأخلاقيا ويمثل هذا التيار كل من عمر *خالد وطارق السويدان* ومجموعة من الدعاة، لكن في وجود غموض علي مستوي فهمنا لهذه الطبقة وبدون المرور بثورة لاهوتية أو ثورة ثقافية لا يمكننا أن نحيي هذه الطبقة ونوجهها إعلاميا بحكم تعدد عقلانيات هذه الطبقة وخير مثال علي ذلك فشل الثورات التي حدثت في العالم العربي (الانقلابات بالمفهوم المحلي) والسبب أن الخطاب الإعلامي كرس أولا للهدم لا البناء ولو عدنا إلي التـرمينولوجيا الفرنسية لمصطلح الثورة أي *Rê évolution* وهي تعني إعادة البناء والأمر الثاني عدم استثمار المجتمعات العربية في السلطة الأبوية والخطاب الإعلامي الأحادي من خلال ما قدمته الثورة الرقمية والأمر الثالث وهو أخطرهم ونجده في تونس يتجلى في حضور أوهام النزعة التبريرية التي شعارها العولمة والتثاقف حيث كان من المفترض استحضار الهوية واستقراء التاريخ لأجل صناعة النموذج وبعث السلام والتسامح بين كل الأقطاب المتنازعة.

❖ مسئلـة الاختـلاف وعقلانية الخطاب الديـني:

يشار إلي مصطلح العولمة في سياق التعددية الثقافية كـخطر ترسيخ أسطورة التشابه والتوحيد بين البشر على حسان اختفاء كل أوجه الاختلاف الثقافي والديني للجماعات والشعوب حيث توصف العولمة بمصطلح الأمركة Américanisation بمعنى توزيع وتسويق ماكدونالـد وباقي منتجات الشبكات الأمريكية، بل تتغلغل الأيديولوجيات والمعتقدات والثقافة الأمريكية إلى جميع أنحاء العالم، بدلا عن الوطني المحلى والأصلي إلى جانب عملية المواءمة والتقارب ليشير الباحثون إلي عملية عكسية: انقسام بدلا من توحيد وخلاف بدلا من تقارب وإفراط في التعصب المحلي بدلا من التدويل[17]وهذا ما نلتـمسه في مسألـة القضية الفلسطينية أين يوظف الاحتلال الإسرائيلي **ثنائيات فضفاضة** ليبرر شرعيته الدولية مبتعدا عن كل عملية تدويل تعرقل عملية استيطانه، حيث نجد أن معظم

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وسائل الإعلام الإسرائيلية توظف بعض الاصطلاحات الوهمية كمفردة الاستياء بدلا من من الرفض لتبرر توسعها الاحتلالي...

فلئن كان في وقاحة الاستعلاء تحد الإنسانية لتضر بالتخلق الإنساني ووقاحة الإحاطة تحديا للإلوهية، حيث أنها تنزل المعرفة الإنسانية منزلة العلم الإلهي الذي لا يخفى عليه شئ ولدى لا عـجب أن يعمل ما يقوم بأفكار الأمم الوقحة من أسباب وآثار قريبة وبعيدة عن عملـه الخفي في إخراجـها إلى ما لا تريده هذه الأمم، بل قد يخرجها علي نقيض ما تريد،[18]موظفا بذلك حرب الدعاية الكلامية على شكل حرب إعلامية في ثوبها الكوني لا الخصوصاني، فلـذلك نجد أن هذا التعايش أو التعدد لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه صورة ساكنة ومثالية ونموذجية، ذلك أنه ليس خالي من الثوترات والتفاوتات والـمظالم وهضم الحقوق وبخس الكفاءات وتقريب البعض وإبعاد البعض الآخر أو تعظيم من لا يستحق أو إغفال من يستحق وفي هذا الإطار يمكن تحديد عدة مفارقات تخص الوظيفة التواصلية، فالخطاب الإعلامي الدينـي العربي قد يكون ملوثا بالعقـلنة حيث يفرز تصورات منطقية بعيدة كـل البعد عن التصور الروحي الذي يكرس مبدأ التسامح بين أفراد المجتـمع دون تمايز ، فهو لا يحتفظ إلى بما يؤكده ويؤيده، ***فلبلاس*** *Laplace* مثلا حقن العقلانية في قلب العلمانية واقتـرح تصورا كونيـا بشكل تام عن الكون في إطار معلمن ... فهناك عقلانية تتجنب فخاخ العقلنة وعقلانية تمارس الخطاب الذاتي فتجمع العقل والمعرفة وتفحص الذات.[19]

فلكي نفصل في هذا الرهان الابستـملوجي بشقيه الحداثي والتقليدي وما يترتب عنه من مشروعية الشك والتشكيك كونه حقول تجارب مفضلة لدى العديد من الباحثين الأجانب لأسباب عديدة دون أي امتلاك لوسائل الاستخدام الفعالة الخاصة لفهم الظواهر الدينية وعليه ألي يمكن القول أن- الخطاب الديني المفبرك في وسائل الإعلام العربي يتـميز اليوم بافتقاده إلى إطار نظري عام، بالمعنى الحقيقي من هنا يتصف انطباعه بالوصفية *Descriptivisme* فهي لئـن كانت تعبر عن إيديولوجيا الحروب والعبث بعقول الشعوب أكثر منها إيديولوجيا تكرس للتماسك الاجتماعي وتعايش الأديان في سلام، ففي أغلب الأحيان نجد أكثر المواضيع تنوعا توحي أيضا بضياع هويتها وتداعيها على نحو يستحيل تداركه، حيث سيؤدي بنا هذا إلى استخلاص نوعا من الإخفاق الخاص بالإعلام العربي في فهم الظاهرة الدينية بل الجهل المقدس لكل تصورات المتلقي العربي لهذه الرسالة الروحية المقدسة، بعبارة أخرى هي محاولة لنشاء إطار عام قابل لان يضمن لها الهوية،

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

حيث نجد الفرض عائد إلى ارتباطها بنظرية في السلوك الإنساني، قابلة للجدل وبصورة ضيقة للعقلانية، مما يحكم عليها بتقديم تفسيرات هشة، نلتـمس فيها ذلك القطع بين الحس المشترك ومتطلبات الحداثة، فإنها لا تفترض كذلك إدراكا أعمى للإسقاط والقطيعة مع المعرفة العفوية، حيث يطمح النموذج الإسلامي لإعلام إلى تجاوز ذلك حين يمنح نفسه الوسائل وذلك بفضل معطيات إحصائية لمقارنات وتعميمات، حتى يمتلك ثانية الشروط العلمية والأخلاقية ليمدها على هذا النحو بأساس ما، فالإسقاط السوسيولوجي يساعد على إعادة تأويل التجربة الدينية بأبعادها، فهي بعيدة أن تكون سوى عائق أمام المعرفة.

الهوامش:

1- محمد قيراط .الإعلام العربي الموجه لــلآخر والحوار بين الإسلام والغرب، ورقة مقدمة لندوة - الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، أفريل :2007، ص9

2- مجدى عبد الجواد داغـر.معالجة الصحافة العربية لقضايا التسامح والتواصل مع الآخر في فترة مابين 2011 – 2012، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس:2006، ص9

3- في إطار الحقل الأكاديمي السوسيولوجي تتجلى لنا أربع نماذج مثالية من علماء الاجتماع *المتذهن الأكاديمي*، عالم الاجتماع الاستعراضي في وسائل الإعلام وتقابلها أربعة مقاربات علمية (النزعة الأكاديمية، عالم الاجتماع، الوسائل الإعلامية، الخبرة السوسيولوجية، الناقد في التقليد *Weber . M*- فهذه النماذج ليست صورا اجتماعية تفضل التغيير ولا سلطات معيارية مطلقة، إنها تتناسب مع أربعة طرق في التموضع داخل المجتمع وأربعة أنماط للاعتراف:عالم الاجتماع "العالم المتذهن أو المنظر *"intellectuel"* عالم الاجتماع الاستعلامي الاستعراضي وأخيرا الخبير

4- محمد غياث مكتبي.الإعلام الإسلامي: ماهيته، خصائصه، أدواته وإشكالاته الراهنة، ص31

5- منصور عثمان محمد زين. قضايا وهموم الإعلام الإسلامي، دراسات دعوية، العدد18- رجب1430 ، يوليو 2009، ص175

6- باتريك لود وآخرون.الأسس والأهداف المشركة للأديان، مجلة الأديان، العدد الأول، خريف 2009، الدوحة، ص45

7- عبد الله بريستاي. التربية والتداخـل الثقـافي، عويدات للنشر والطباعة، ط1، بيروت لبنان:2003، ص57

8- محمد شوقي الزين. ميشال دوسارتو- منطق الممارسات وذكاء الاستعمالات- مدخل على قراءة تداولية، إبن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر:2013، ص192

9- أنظر إلى مقالنا المعنون بـ : السوسيولوجيا الوضعية ومعضلة النزعـة الذاتـية - مسائل ورهانات، مجلة أبعاد، جامعة وهران، العدد04 جانفي- 2017، ص224

10- بن لعوج لطفي. الدين والمقـدس - باراديغـما جديدة لـفهم الواقع الاجتماعي، المركز الديمقراطي العربي، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد*1 0*، أوت - برلين، ألمانيا: 2018، ص58

11- محمد شوقي الزين. المرجع السابق نفسه، ص58

12- رمضان عبد المجيد. مفهوم المسؤولية الاجتماعية للإعلام - قانون الإعلام الجزائري نموذجا، دفاتر السياسة والقانون، العدد90 / جوان 2013، ورقلة، الجزائر، ص 371

13- محمد شوقي الزين. المرجع السابق نفسه، ص26

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

14- رمضان عبد المجيد. المرجع السابق نفسه، ص371
15- بن لعوج لطفي، قويدر سيكوك. أزمة الموضوعية ومفارقة الأنا والآخر: تأملات في سوسيولوجيا الذات الباحثة، مجلة آفاق فكرية/ العدد 06، سيدي بلعباس، الجزائر- شتاء 2017، ص158
16- عبد الله بريستاي. المرجع السابق نفسه، ص28
17- إبراهيم محاجنة، دورورا كـفيـر.السياسة المعـلنة في إعداد معلمي الدين الإسلامي في إسرائيل، دار الأركان للإنتاج والنشر، الكلية الأكاديمية، بيتر بيرل، الحصاد، العدد الأول،2011، ص 12
18- طه عبد الرحمن. الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، المركز الثقافي العربي، ط1، الدارالبيضاء، المغرب:2005، ص152
19- إدغار موران. ثقافة أوروبـا وبربريتها، دار توبقال للنشر، ترجمة محمد الهلالي، ط1، الدار البيضاء، المغرب:2007، ص ص 31 - 32